ما يقوله الكتاب المقدس عن

الإيمان والمعمودية

تأليف: أوين أولبرايت

الذين يؤمنون بأن الخلاص بـ«الإيمان وحده» يقولون عادة أن المعمودية غير ضرورية للخلاص. ويجادلون بان الإيمان هو الشرط الوحيد الذي يطالب به الله للخلاص، ولا يشمل أي مطلب آخر من جانب الإنسان. مع انهم يقولون هذا من الجانب النظري، إلا انهم لا يمارسونه دائماً.

إذا كان الخلاص يعتمد على الإيمان وحده، فلا ينبغي تعليم إي شيء آخر كمطلب للحصول على الخلاص. اذ ان هذا يستثنى دراسة الكتاب المقدس والاستماع إلى التعليم والتوبة والاعتراف و«صلاة الخاطيء» وطلب المسيح بالدخول في القلب.[1] الذين يعلمون «إيمان وحده» عادة ما يعتبرون كل هذه متضمنة في إيمان. فلماذا لا يشمل الإيمان أيضاً على المعمودية ما دام انها ليست عمل للحصول على مكافأة عن غيرها من المتطلبات المذكورة أعلاه؟ الذي يتم تعميده لا يقوم بعامل فعال، بل يسمح لجسده أن يذعن ويدخل في الماء ومن ثم يخرج من الماء - كما أن يسوع لم يفعل شيئاً في صلبه، بل خضع للآخرين الذين صلبوه على الصليب. وبعد موته من أجل خطايانا دفنه آخرون وأقامه الروح (رومية ٨: ١١).

هل يشمل الإيمان على الطاعة؟

تأتي كلمة «إيمان» أو«يؤمن» من صيغ الكلمة اليونانية «πιστεύω بيستوو» والتي يمكن تعريفها بـ«ائتمان وثقة». وتشمل أيضاً على استجابة الشخص الإرادية لثقته، والتي تؤدي إلى الطاعة. أعطى بولتمان هذا التعريف للكلمة اليونانية «πιστεύω بيستوو»:

> «يطيع»: يشدد الأصحاح ١١ من الرسالة إلى العبرانيين على أن الإيمان يعني طاعة كما في {العهد القديم}؛ في رومية ١: ٨؛ ١ تسالونيكي ١: ٨ (أنظر أيضاً رومية ١٥: ١٨؛ ١٦: ١٩) يبين بولس أيضاً (أنظر أيضاً رومية ١٥: ١٨؛ ١٦: ١٩) أن الإيمان يعني الطاعة. وهو يتحدث عن إيمان الطاعة في رومية ١: ٥، أنظر أيضاً ١٠: ٣؛ ٢ كورنثوس ٩: ١٣.

الكلمتين «إيمان» و«يؤمن» تشيران إلى أكثر من مجرد استجابة عقلية أو عاطفية. يتم استخدامهما في تباين مع العبارات «غير مطيع»، «عدم الطاعة» و«عاصي»، «عصيان». ترجمت هذه الكلمات من الكلمة اليونانية «أپيثيا ἀπειθής»». يقول إنجيل يوحنا ٣: ٣٦: «الذي يؤمن {اليونانية: پيستوو} πιστεύω» بالابن له حياة أبدية. والذي لا يؤمن {اليونانية: أپيثيو} ἀπειθέω بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله. استخدام الكلمة الايجابية «پيستوو πιστεύω» أي «يؤمن» في تباين مع الكلمة السلبية «أپيثيو ἀπειθέω» أي «لا يطيع» هو دليل واضح على أن الفعل المشار إليه بالكلمتين «إيمان» و«يؤمن» مكتمل عند العمل بهما.

في الرسالة إلى العبرانيين ٣: ١٨ و١٩ تظهر مقارنة: «ولمن أقسم لن يدخلوا راحته إلا للذين لم يطيعوا {اليونانية: أپيثيو ἀπειθέω}؟ فنرى أنهم لم يقدروا أن يدخلوا لعدم الإيمان {اليونانية: أپيستيو ἀπιστέω }». يشير هذا النص إلى عصيان إسرائيل لله بعدم الذهاب إلى كنعان للاستيلاء عليها. تم استخدام إسرائيل كمثال (عبرانيين ٣: ٩-١١ ، ١٦-١٩) لإنذار المسيحيين أن لا يكون لهم «قلب بعدم

---

[1] بما أن تكرار «صلاة الخاطيء» ليست من تعليم الكتاب المقدس، إلا ان معظم الذين يدعون بان الخلاص بالـ«إيمان وحده» يعلموه. تلاوة الصلاة لا تاتي بمن ليس هو مسيحي إلى نعمة الله، لأن بولس صلى لبضع أيام قبل أن يقول له حنانيا أن «يغسل خطاياه» (أعمال ٩: ١٠ و١١؛ ٢٢: ١٦).

إيمان » (عبرانيين ٣: ١٢-١٥). لم يستفد الإسرائيليون من كلمة الخبر التي أُعطيت لهم لأنها « لم تكن ممزوجة بالإيمان {اليونانية: پيستيس πίστις } » (عبرانيين ٤: ٢). أخفقوا في أن ينالوا مكافأة الله لأنه لم يكن لهم إيمان يجعلهم يطيعون. تقول الرسالة إلى العبرانيين ٤: ٦ بانهم لم يدخلوا راحة الله « بسبب العصيان » {اليونانية: أپيثيا ἀπειθτής }. ناشد كاتب الرسالة إلى العبرانيين المسيحيين بان لا يتبعوا مثالهم « في عبرة العصيان » {اليونانية: أپيثيا ἀπειθτής } (عبرانيين ٤: ١١).

توضح هذه النصوص بجلاء أن الإيمان غير مكتمل من غير الطاعة. الذين لم يؤمنوا هم الذين لم يطيعوا، بينما الذين آمنوا هم الذين أطاعوا. الإيمان الذي يقود إلى الطاعة هو الإيمان الذي ينال مكافأة.

هل الخلاص بالإيمان وحده؟

ربما وضع مارتن لوثر تعليم « إيمان وحده » ليقاوم تطرفاً آخر، أي تعليم الخلاص على أساس الأعمال الصالحة. في ترجمته للرسالة إلى أهل رومية ٣: ٢٨، أدخل مارتن لوثر الكلمة « وحده » بعد الكلمة « الإيمان ». أصبح هذا أساس تعليم معظم الكنائس البروتستانتية. يقول « كتاب التهذيب Book of Discipline » وهو تعليم طائفي: « إذن كوننا مبررين بإيمان وحده هو أعظم تعليم صحيح ومملوء بالتعزية ».

يعلم الكتاب المقدس انه ليس بال« الأعمال وحدها » ولا بال« الإيمان وحده » بل « بالإيمان العامل بالمحبة » (غلاطية ٥: ٦). ظهرت هذه الحقيقة في الرسالة إلى العبرانيين ١١: ٦: « ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه ».[٢] لا ينبغي أن نؤمن بان الله موجود وحسب، بل لا بد أن « نطلبه » أيضاً لكي نرضيه. كلمة « يطلبونه » تتضمن على جهد بشري.

أشار يعقوب إلى أن الشياطين تؤمن بما فيه الكفاية لترتعد خوفاً (يعقوب ٢:١٩)[٣]. قال أيضاً: « هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته » (يعقوب ٢: ١٧؛ أنظر أيضاً الآيتين ٢٠ و٢٦). التبرير في نظر الله لا يأتي بإيمان وحده: « ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده » (يعقوب ٢: ٢٤).

الإيمان بيسوع ضروري لأن إطاعة يسوع تأتي بواسطة الإيمان به فقط (يوحنا ٣: ٣٦). لنفرض أن شخصاً ما قام بزيارة أصدقاءه في دولة بعيدة عن وطنه، وأثناء الزيارة أصيب بمرض ما، ورفض أن يذهب إلى الطبيب إذ لم يكن يعرف أي طبيب يثق فيه. ولكن عندما نصحه أصدقاءه بطبيب ما، ذهب إليه في الحال وتناول الدواء الذي وصفه ذلك الطبيب بكل رضى - لأنه وثق فيه. هكذا أيضاً بالنسبة للذين يؤمنون بيسوع. الذين يؤمنون به يطيعونه (متى ٧: ٢٤-٢٧) وبهذا ينالون الخلاص الأبدي (عبرانيين ٥: ٩).

هل الخلاص بالأعمال؟

استخلص البعض بان تعليم بولس عن « الإيمان » وتعليم يعقوب عن « الأعمال » كانا يتعارضان مع بعضهما (رومية ٣: ٢٨؛ يعقوب ٢: ٢٤). إذا كان بولس ويعقوب يكتبان عن نفس الأعمال، لكنا نرى تناقضاً عقيماً. ولكن كان بولس يتحدث عن القيام بأعمال إنجاز ذاتي من أجل الحصول على التبرير، بينما كان يعقوب يكتب عن الأعمال على أساس الإيمان بما قام به يسوع ليأتي بالتبرير.

نرى مثالاً جيداً على هذين النوعين من الأعمال في هدم أسوار أريحا. ما الذي جعل الأسوار تسقط؟ كان ذلك من عمل الله وحده لا غير. لا يمكن لمسيرة الإسرائيليين أو صياحهم أن تهدم تلك الاسوار. لو كانت تلك تسقط على أساس العمل الذي تقوم به إسرائيل لكان

---

[٢] الذين يؤمنون ربما ليسوا بعد أولاد الله، ولكن لهم « الحق في أن يصيروا أولاد الله » (يوحنا ١: ١٢).

[٣] يقول إنجيل يوحنا ١٢: ٤٢: « ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع ». على الرغم من أن أولئك الرؤساء آمنوا، إلا أن يسوع سينكرهم قدام الآب لأنهم لم يعترفوا به رباً (أنظر إنجيل متى ١٠: ٣٣؛ الرسالة إلى أهل رومية ١٠: ٩ و١٠).

الشعب قد استخدم معدات حربية لهدم تلك الأسوار. هذا هو نوع العمل الذي قصده بولس عندما كتب: «لا على أساس الأعمال، حتى لا يفتخر أحد» (أفسس ٢: ٩).

«بالإيمان سقطت أسوار أريحا بعد ما طيف حولها سبعة أيام» (عبرانيين ١١: ٣٠). ما عمله إسرائيل على أساس الايمان هو مثال توضيحي للأعمال التي كان يعقوب يتحدث عنها. كان عملهم استجابة على أساس إيمانهم في ما وعد الله بان يعمله، وليس في ما يمكنهم القيام به.

لا ينبغي تصنيف المعمودية تحت الأعمال التي تأتى بالبركات. المعمودية مثلها مثل الإيمان والتوبة والاعتراف، ليست بها قدرة ذاتية لغفران الخطايا. لو كانت المعمودية عمل الانجاز الذاتي لما كانت لها أي علاقة بالخلاص وغفران الخطايا. لا توجد القوة التي تعمل على غفران الخطايا في الماء ولا في العمل الذي يقوم به الشخص الذي يعمد أو في خضوع الشخص الذي يتم تعميده. ولكن دم يسوع وحده هو الذي له القوة (متى ٢٦: ٢٨؛ عبرانيين ٩: ٢٢). كما كان الحال مع أعمال إسرائيل بما يختص بأسوار أريحا هكذا أيضاً مع المعمودية:

إيمان وبركات التبرير والحياة الأبدية

التبرير والحياة الأبدية لا تُنسبان إلى المعمودية، بل إلى الإيمان – وتنسبان إليه بالحق. وبالتباين توجد للخلاص والغفران صلة بالمعمودية والإيمان – وبالحق كذلك. التبرير والحياة الأبدية يعتمدان على الاستمرار في الإيمان. كتب بولس إلى أهل كولوسي بان يسوع مات «ليحضركم قديسين وبلا لوم وبلا شكوى أمامه إن ثبتم على الإيمان متأسسين وراسخين وغير متنقلين عن رجاء الإنجيل ...» (كولوسي ١: ٢٢ و٢٣). المعمودية هي شيء يحدث مرة واحدة فقط ولكن لا بد من الإيمان أن يستمر لكي ينال الشخص حياة أبدية.

النصوص التي تعلم بان الحياة الأبدية تأتي بواسطة الإيمان لا تعلم عن حدوث الإيمان مرة واحد فقط. كلمة «يؤمن» الواردة في (يوحنا ٣: ١٦ و٣٦) هي فعل مضارع مما يدل على استمرارية العمل بدلاً من حدوثه مرة في وقت محدد.

يعلم إنجيل يوحنا ٣: ١٦ بان الحياة الأبدية هي للذين يستمرون في الإيمان بيسوع وليس للذين آمنوا في وقت ما فقط. ينطبق هذا على التبرير: يأتي نتيجة لإيمان مستمر. ومن ناحية أخرى، الحياة الجديدة التي تشمل على الخلاص وغفران الخطايا هي شيء يحدث مرة في وقت محدد. يحدث عندما يحث الإيمان بدم يسوع الغفار الشخص على ان يعتمد (يوحنا ٣: ٥؛ رومية ٣: ٢٥؛ كولوسي ٢: ١٢ و١٣). المعمودية هي الولادة الجديدة التي تبدأ الحياة الجديدة (رومية ٦: ٤)، والتي فيها ينبغي أن نستمر بالإيمان لكي نحصل على حياة أبدية.

إيمان وبركات نعمة الله

يأتي اقترابنا إلى نعمة الله الخلاصية بواسطة الإيمان. «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله» (رومية ٥: ١ و٢). يتم الدخول إلى النعمة شرطياً، على أساس الإيمان؛ ويكتمل الإيمان بالأعمال (يعقوب ٢: ٢٢).

توجد النعمة في المسيح (٢ تيموثاوس ٢: ١)، والذي ندخل فيه بالمعمودية (رومية ٦: ٣). ندخل إلى النعمة بالإيمان وندخل المسيح (حيث توجد نعمة) عندما نعتمد. بما أن لحظة المعمودية هي لحظة دخولنا في المسيح، فلا بد انها أيضاً لحظة دخولنا في نعمة الله التي تأتينا بالخلاص (أفسس ٢: ٨).

لا يوجد شيء في أعمال أو أفعال المشاركين يؤدي إلى البركات المرغوبة فيها.

لم يبارك الله أبناء إسرائيل إلا بعد ما حركهم إيمانهم بوعده ليستجيبوا إلى تعليماته. قد أعطى الله هذا كمثال على الإيمان الذي ينال المكافأة (عبرانيين ١١: ٣٠).

تتوافق عملية المعمودية مع هذا. كتب بولس: « مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات » (كولوسي ٢: ١٢). هكذا وبطريقة مماثلة استجاب الله لإسرائيل إذ جعل الأسوار تسقط بسبب إيمان الشعب واستجابة الطاعة لإرادته. كما أن الله كافأهم على مسيرتهم {حول الأسوار} وهتافهم ونفخ البوق (يشوع ٦: ١-٢٠) هكذا أيضاً سيغفر الله خطايانا من أجل إيماننا في عمل الله ليمحي خطايانا عندما نُدفن مع المسيح في المعمودية (مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٢: ٣٨؛ ٢٢: ١٦؛ كولوسي ٢: ١٢ و١٣).

لا يوجد شيء من الأشياء التي قامت بها إسرائيل أية قدرة ذاتية لاستحقاق المكافأة، ولا يوجد شيء في تعميدنا له قدرة ذاتية على خلاصنا. لم تكتمل بركاتهم بواسطة أي عمل قاموا به، وبركاتنا لم تأتي بواسطة أي شيء نفعل. ولكن لم يتم مكافأة الإسرائيليين حتى عبَّروا بإيمانهم بالشيء الذي قال الله بانه سيفعل إذا أطاعوا؛ هكذا أيضاً لا نحصل على مكافأة حتى نعبر عن إيماننا بما قال الله بالمعمودية. نحن غير مخلصين بأعمالنا. لا نستطيع أن نفعل شيئاً نحقق به خلاصنا، لأن يسوع هو الذي حقق ذلك على الصليب. نحن مخلصين بالعمل الباعث عن الإيمان لننال الغفران الذي أنتجه موته على الصليب.

المعمودية ليست عمل نعمله نحن. بدلاً من أن نغطس أنفسنا {في ماء المعمودية} نخضع لشخص آخر الذي يدفنا في الماء. المعمودية ليست شيء نفعله، وإنما هي شيء يفعله شخص آخر علينا. نحن نخضع للمعمودية لأننا نؤمن بانه من خلالها يعمل الله من أجل غفران خطايانا (كولوسي ٢: ١٢ و١٣)، وليس لأننا نؤمن بان بالمعمودية قوة ذاتية لغفران خطايانا. كتب ألكسندر كامبل وكان قائداً في حركة الاصلاح الديني في أمريكا في القرن التاسع عشر ما يلي:

> لا تدفن الموتى أنفسها ولا تقوم لتحيا مرة أخرى. في المعمودية نكون سلبيين في كل شيء ما عدا في موافقتنا. يدفننا ويقمنا شخص آخر. لهذا لا يمكن تسمية المعمودية بانها عمل صالح. إذن التاثير الذي قد يكون للمعمودية على علاقاتنا الروحية ليس بسبب أي استحقاق في هذه العملية كأنها من ذاتنا؛ ليس كجهد مبذول، بل مجرد شيء معاون يساعدنا على « الدخول في المسيح » ومتحدين معه شكلياً وفي القلب ندخل في عهد معه، ونوحد أنفسنا معه في موته ودفنه وقيامته. لهذ السبب قال الرسول: « أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته » - « قد لبسنا المسيح ».

هل للإيمان صلة بالمعمودية؟

لو أمكن فصل المعمودية عن الإيمان، فلا تكون المعمودية ضرورية للخلاص؛ لأن الخلاص يعتمد على الإيمان. ولكن الكتاب المقدس يربط بين المعمودية والخلاص بحيث لا يمكن فصلهما عن بعضهما (مرقس ١٦: ١٦؛ أعمال ٨: ١٢ و١٣؛ ١٨: ٨؛ غلاطية ٣: ٢٦ و٢٧؛ كولوسي ٢: ١٢). تكون العبارة الواردة في الكتاب المقدس ترجمة أورشليم الجديدة « *The New Jerusalem Bible* » صحيحة بما يختص بهذا:

> المعمودية ليست في تباين مع الإيمان بل تتفق معه ... وتعطيها تعبيراً خارجياً عن عملية مراسيم المعمودية. لهذا السبب انتسب بولس للإيمان والمعمودية التأثير نفسه (أنظر رومية ٦: ٣-٩ وغلاطية ٢: ١٦-٢٠).

بتعليقه على الأصحاح السادس من الرسالة إلى أهل رومية، كتب دغلاس موو ما يلي: « كما يُعتقد دائماً أن الإيمان يقود إلى المعمودية، هكذا يُعتقد أيضاً أن يكون للمعمودية إيمان حتى تكون سارية المفعول. إذن يمكن أن نظن في الآيتين ٣ و٤ أن المعمودية تمثل بداية خبرة اعتناق المسيحية وتستلزم الإيمان وعطية الروح ».

هكذا بطريقة مماثلة يقال أن بركات الله هي نتيجة للإيمان - ولكن بعد القيام بالعمل المناسب فقط. قدم هابيل ذبيحة مقبولة،

بنى نوح الفلك، أطاع إبرهيم الله وسارت إسرائيل في مسيرة حول أريحا (عبرانيين ١١: ٤-٨ ، ٣٠). ينتسب الخلاص إلى الإيمان بطريقة مشابهة - ولكن بعد المعمودية فقط (مرقس ١٦: ١٦؛ ١ بطرس ٣: ٢١). لم تعطى بركة لأي شخص في الكتاب المقدس قال له الله أن يفعل شيء ما ولم يستجب بإيمان إلى كلمة الله. عندما يوصي الله بعمل شيء ما فانه يطالب دائماً بالإيمان الذي يقود إلى العمل قبل أن يمنح البركة التي وعد بها. الإيمان بغفران الخطايا الذي وعد به الله أثناء المعمودية هو حكمة؛ وليس استثناء لإيمان الكتاب المقدس.

الخلاصة

الإيمان الذي يجازيه الله هو الثقة به التي تحثنا على الاستجابة إلى مشيئته. الإيمان بعمل الله أثناء المعمودية هو ما يجازيه الله بغفران الخطايا. بدون إيمان لا يكون عمل أي إنسان مرضي لله (عبرانيين ١١: ٦)؛ إذاً تكون المعمودية سارية المفعول في نظر الله عندما يرافقها الإيمان فقط.

ننال الخلاص عندما نعتمد (مرقس ١٦: ١٥ و١٦) إن كنا نصدق الإنجيل بأن يسوع مات من أجل خطايانا (١ كورنثوس ١٥: ١-٣). بما يختص بالعبارة «من آمن واعتمد خلص» كتب المترجمان روبرت براتشر ويوجين نيدا ما يلي: «... أداة التعريف الوحيدة التي تتحكم في (صيغة الفعل المستمر) كلاهما تربط الكلمتين معاً إذ تصف الإنسان الذي يُخلص؛ يمكن ترجمة هذه الفقرة كالآتي: المؤمن الذي يعتمد». هذا هو الشخص الذي «يخلص».

معمودية من غير إيمان لا تكون سارية المفعول، ولا يكون الإيمان مفيداً إن لم يُعبر عنه بحسب مشيئة الله. بالمعمودية نعبر عن إيماننا بان يسوع كان قد دفن وأقيم، لأننا نخضع للعمل نفسه أي الدفن والقيامة لكي ننضم إليه ولكي ندخل في وحدة مستمرة معه. عندما نؤمن بدمه ودفنه وقيامته يجب أن نعبر عن ذلك الإيمان بالدفن معه في المعمودية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧